

الحسنة أسهل تذكرًا ، وما كانت لتفقد شيئاً من تفرقةا في التركيب، والفكر، والمفردات، وشخوص الحديث . وان ذلك الذي كان سينساب انسياً رقيقاً بالقافية ، لا يعدو أن يكون رتيباً بدونها .

لقد لبثت مشغولاً ، حتى ههنا، بصورة رئيسية، بمهمة محاولة تخفيف العقبات في طريق تقدير جونسون الناقد . وقبل الختام يظل هناك رأيان طارئان في جونسون، لابد من مواجهتهما وإلا لعرضت نفسي لتهمة التهرب منهما . أما الأول فهو رأي جونسون في مسرح الجوقة ، وكان رأياً سلبياً، وأما الثاني فموقفه من الشعر الديني أو التعبدي ، وكان موقف المتفضّل المتعالي . ولذلك فلا بد لي من توجيه النظر الى هاتين النقطتين .

«ولئن كان (الفردوس المستعاد) قد أسيء تقديره كثيراً فإن «أعداء شمشون» لقيت، بالمقابل، من الإعجاب أكثر مما ينبغي، وما كان تفضيل ملتون للمسرحيات القديمة مع عبء جوقتها ، على عروض المسرحين الفرنسي والانكليزي، ليكون إلا ناشئاً عن الحكم المسبق البعيد المدى، والتعصب الأعمى في الاطلاع . كما أن مجرد الثقة العمياء بسمعة ملتون هي التي تمكن من الثناء على مسرحية ليس للفصول الوسطى فيها سبب ولا نتيجة ، ولا تُعجل بالكارثة أو تؤجلها» .

وقد تسنح لي الفرصة لأذكركم من جديد كم كان جونسون حديثاً في عصره الى حد يلفت النظر، وليس تفضيله للمسرحين الفرنسي والانكليزي على الإغريقي إلا مثلاً واحداً على هذا . وقد وددت لو أعدد سمات توبيخه لملتون ، في الفقرة التي أوردتها منذ حين، بأن أقول إنني لأعتقد ان مادفع ملتون الى أن يكتب مسرحيته على النمط الإغريقي إنما كان الحكم المسبق البعيد المدى في المقام الأول، أو التعصب الأعمى في الاطلاع ، وإنما اعتقد أنه كان قبل كل شيء «معرفة» شعورية أو لاشعورية ، بما كانت عليه مواهبه الخاصة . لقد اختار ، في (شمشون) الموضوع الواحد الأكثر ملاءمة له ، واتخذ النموذج الإغريقي لانه كان شاعراً ، ولم يكن كاتباً مسرحياً، وفي هذا الشكل كان في وسعه ان يكشف عن براعته ويخفي مواطن ضعفه . وعلى كل حال فإن ماهو أكثر غرابة ، مادام